في الأمارة ويخشى أيضاً أن يناله ما نال أخـاه يوري من مصير . وفي الكريملين كما في كل البلاد كان يوجد حزبان أحدهما حزب أوبولينسكي والثاني حزب غلينسكي . وما لبثت أن نظمت مؤامرة للتخلص من المحظي أوبولينسكي وسجن هيلانة في أحـد الأديرة ، ولكن المحادثات فيهـا استنفدت كل المجهود فلم يكتب لها أن تظهر الى حيز التنفيذ . وفي شهر آب أغسطس من عـام ١٥٣٤ اتخذت الوصية قراراً اوقفت بموجبـه غلينسكي وزجته في زنزانة حتى ذاع خبر موته خطأ في كل مكان . وفي الوقت نفسه سجن نوردنتسيف وعدد من النبلاء المستائين الذين كانوا قد تورطوا في العصيان .

وشهد الشهر نفسه الذكرى السنوية الرابعة لمولد إيڤان . واتخـذ الفراندوق الصغير مكانه على عرش وعلى رأسه تاج وفي يده صولجان عليه رسومات منمنمة وهو يرتدي الذهب والفضة وقابل في زيه هـذا النبلاء الذين كانوا يسجدون أمامه كما يسجدون أمام إله . فلو أن أباه كان حياً لترعرع الغلام في دعة وعزلة ، ولكن إيڤان منذ يفاعته الأولى اتخذ مكانه بـين الراشدين . وكان هؤلاء الرجال أتباعه وهو محـل اهتمامهم وتفكيرهم ومركز منازعاتهم . وفي سنوات يفاعته الأولى كان هذا الطفل الذي سيصبح القيصر الرهيب نشيطاً ماهراً ومحبوباً وبدا أنه كان يحب أولئك الذين يحبونه ولكنه بقي بارداً ومتحفظـاً جـداً تجاه الآخرين .

أما هيلانة فكانت امرأة غيورة وأدت بها الغيرة الى العنف . وكان بإمكانها أن تحافظ على مكانة إيڤان بفطنة أكبر . فلم تكن تعرف الراحة عندما كانت تدرك أن مدعياً ممكناً للعرش كان مطلـق السراح . وكان بإمكانها على الأقل أن تثق بالأمير أندريه الذي كان محباً وعطوفاً وخالياً من كل طموح شخصي وأن تجد فيه ضمانة أفضل لمستقبل إيڤان ممـا تجده في عمها غلينسكي . أما عشيقها أوبولينسكي فلم يكن لديه كفاءات كبيرة . وقد سجنت أقوى رجلين في البلاد هما الأميران يوري وغلينسكي